

المجلد: 06 / العدد: 01 / جوان 2022، ص 541/531

تجليات الألم في الكتابة السردية العراقية بين تأرجح الإبداع وحدود إمتاع القارئ رواية -
صيادو الريح للمياء الألوسي نموذجاً

**The manifestations of pain in the Iraqi narrative writing between
the fluctuation of creativity and the limits of the reader's
enjoyment, a novel Wind hunters - the Alusi water as a model**

د. بودية أمجد

boudiamhamed@hotmail.com

جامعة مولاي الطاهر - سعيدة-
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/05/08

د. صليحة لطرش *

Seg1610@yahoo.com

جامعة البويرة
(الجزائر)

تاريخ الاستلام 2022/01/08

ملخص:

حين نتألم ننجح إلى الكتابة هذا الحقل السردى الذي يفتح على الواقع والمتخيل صيغاً بنائية تتعدد تبعاً لجدل الآليات السردية، والتي كان لها أثرها على الواقع المعيشي للكاتب سواء على الأسرة أو المجتمع فغشاق الأدب والكتابة والقراءة الأدبية يعرفونها ويحسونها لكن لم يتوقفوا عندها، فالمسار الروائى هو عادة افتراض نظري لقدرات تعكسها مكونات الوعي والوجدان ومن ثم محاولة فهم ماهية الألم، وبناء على ذلك فالقارئ والناقد وعبر هذا الافتراض يضعان الرواية في أنها تعبيراً أو بعبارة أخرى تصويراً لمهوم العمق البشرى. لذلك جاءت سطور هذه الورقة لتجيب عن إشكالية التأرجح بين الألم والإبداع الروائى عند الأدبية "لمياء الألوسي" في رواية "صيادو الريح" وإظهار مدى تمكنها من الكتابة تحت وطأة الألم ولما لا أيضاً خارجه، وهذا حتى لا تقف الكتابة الروائية كوسيلة فقط للإمتاع والإلهام السيكلوجي.

كلمات مفتاحية: الألم. الكتابة. الرواية. القارئ. السرد.

Abstract:

When we suffer, we tend to write. This narrative field that opens up to reality and the imagined has many forms of construction according to the controversy of

*المؤلف المرسل.

narrative mechanisms, which had an impact on the writer's living reality, whether on the family or society. Lovers of literature, writing and literary reading know and feel it, but they did not stop there. The narrative path is usually A theoretical assumption of abilities reflected in the components of consciousness and conscience, and then an attempt to understand the nature of pain. Accordingly, the reader and critic, and through this assumption, put the novel as an expression, or in other words, a depiction of the concerns of the human depth. Therefore, the lines of this paper came to answer the problem of oscillation between pain and novelistic creativity for the writer "Lamia Al- Alusi" in the novel "Sayyad Wal-Rih" and to show the extent to which she was able to write under the weight of pain and why not also outside it, and this is so that fiction writing does not stand as a means only for enjoyment and psychological inspiration.

Keywords: the pain ; Writing ; the novel ; Reader ; Narration .

مقدمة

الألم في الرواية هو دراسة لعلم اجتماع الأدب أي الحياة الاجتماعية المعيشية والأدب العربي ممثلاً في الرواية ، وهناك أعمال أدبية حوت الكثير والكثير من الآلام ، يكتبون هذه الآلام من خلال ما عاناه أصحابها بدءاً من طه حسين في كتابه "الأيام" ، مروراً بعبد الرحمان الشرقاوي في روايته قصة الأرض وعبد جاسم النجار في روايته "القلب البديل" . باعتبار أن الرواية حقل سردي مفتوح على الواقع والتمثيل تتعدد طريقة صياغتها من حيث إيجاد آليات سردية ، ولذلك يمكن إعادة أي مضمون وفق أسلوب معين ورؤية جديدة . فرواية "صيادو الريح" للمياء الألوسي هي ثيمة خارقة في رسم آلام المرأة العراقية ومعاناتها ، إنها تحمل قطبين مهمين القطب الأول : يحمل الأفكار والمبادئ والقطب الثاني يحمل روح المرأة المتشعبة بالنضال والدفاع عن الأرض العراقية .

وفي هذا السياق ندرك أن الرواية العراقية عكست تحولات في نهج الألم ، وما يحمله من عوامل وأفكار وطيدة ذات صلة بالصراعات مع محيطه ، فالمرأة وهي تعبر عن ألمها تكون كدراسة تأسست لقضايا هامة تُعيد بناء المجتمع ، خصوصاً والمرأة العراقية تُطالب بوضع معالم واضحة من خلال أدب نسوي خالص .

فالكتاب هو وحده من يستطيع التعبير عن الألم الحقيقي في روايته ، كيف لا وهو إنسان قد غلّ قلبه وتعب ، حال الساردة "لمياء الألوسي" مصورة شعلتها التي تزداد كل يوم اشتعالاً . فحقل رواية "صيادو الريح" يقوم على تحصيل المركزية السردية فهي أحداث انفتحت على قوة حب الوطن مفعمة بالتعدد الدلالي المشبع بالمفارقات والمرجعيات ضمن أماكن معبرة بدورها عن ذلك ، فالرواية تُجادل الواقع المأساوي مركزة على الآليات الجمالية من وصف لمظاهر اكتسبت من خلالها مقامة وخصوصية ، وليس بغريب على أدبية واعدة "كلمياء الألوسي" حاضرة بخيالها الذي يقف على خيط توطدت معه الصلة بين الأدب والفكر .

وعليه فهل يمكن أن يعيش الروائي رهبة الألم ليُعيد صياغتها في قالب روائي وفق طرائق سردية ؟

وهل استطاعت "لمياء الألوسي" خلق التجربة التي من خلالها يتمرأ وعي الروائي المعبر عن مشاعره ومشاعر المجتمع الذي يعيش داخله ، وهذا يقف على براعة توظيف "لمياء الألوسي" لمكونات الخطاب السردى لتجعل القارئ تحت وطأة المتابعة إلى نهاية الرواية .

إن اهتمام الدارس وهو يعرض لموضوع كهذا الوقوف على مسألة معروفة تقودنا إلى التسليم بأن هذا النوع الأدبي شأنه شأن سائر الأنواع الأدبية الأخرى يخضع في تطوره لمجمل التحولات الاجتماعية في البلد، والتي يفرزها واقع التغيير السياسي والاقتصادي فيه، فالن قصصي - مثلاً هو معروف - يشكل الوعاء المناسب لاحتواء التجارب الإنسانية، فردية كانت أم جمعية، فضلاً عن كونه أخصب الأشكال الفنية وأليقها لحمل الفكرة الجديدة، والتأثير في قارئها، إذ يمكن أن تتغير نظرتة للحياة وموقفه العام منها .وقد كان للتطور النوعي الذي شهدته المجتمع العراقي¹ وعادة وفي حقل أي رواية يلجأ الباحث إلى كسر البدييات والحقائق السردية ليؤرخ الواقع من خلال التجربة المبررة التي واجهها المهاجرون منهم " ومن المعلوم أن الرواية العراقية حفلت منذ نشوئها بموضوعات المرأة ووضعها الاجتماعي وقضية منها تحررها، إذ لم تخل من تناول موضوع المرأة ومواكبة مراحل تطورها وتغير موقف المجتمع"² والنص الروائي العراقي ، دون غيره من النصوص العربية بالمقارنة على سبيل المثال يصور الواقع المباشر بتاريخ العراق وحوادثه السياسية وتحولاته العميقة .

فبعد مخاض طويل وعسير انعكست هذه الظروف على الرواية ، ورواية صيادو الريح رواية متعددة الأصوات حيث تناولت واقع المرأة العراقية في ظروف القمع والحرب ، ناهيك بتخييلها وهي على طاولة الكتابة ، كل هذه الآلام والظروف أدت إلى ولادة نص عراقي " صيادو الريح" نص مكتوب تحت ظروف الألم. فالكتابة الروائية تعبيراً عن تفاؤل الكاتب مع واقعه وظروفه أو رصد لمواقفه ورؤيته للواقع المعيشي إذ لا يمكن أن يقف موقف الحياد من هذا الواقع ، فهو ابن المجتمع الذي لا ينفصل عنه يؤثر فيه ويتأثر به بمشكلاته وقضاياه³ فالكتابة " لمياء الألوسي" استطاعت بفضل حذقها أن تحول الواقع المؤلم إلى أعمال روائية تخيلية تجعل فعل القراءة مدخلاً ممتعاً لخلق الدهشة والغربة لدى المتلقي عبر توظيف أساليب التراجيديا أو السرد السلس لأحداث الرواية أحياناً أخرى .فقراءتي لرواية "صيادو الريح" هو إحساس بنوع من الألم كون العمل السردى صيغ دون تكلف ، فهي تصوغ رسالة " نساء" في ظل حرب .

رواية "صيادو الريح" هي رواية من الحجم الكبير تقع في 295 صفحة ، جاء العنوان مكتوب بخط عريض بلون مغاير يتوسط بين اسم الرواية ودار النشر ، أما ظهر الغلاف فكان ناصع اللون يتوسطه بياض جاء لتقديم الرواية والذي كان بقلم عبد الرحمان مجيد الربيعي ورقم الطبعة 1 ط 2018 .

الرواية تسرد تلك التجربة المبررة التي واجهها المهاجرون من المناطق التي احتلتها داعش وعلى لسان ساردة داخلية تنطلق من ذاتها لترينا تلك الرحلة الصعبة بين تركها منزلها في تكريت هنا والعودة إليه ثم الهروب منه. تتعامل من داخلها في النظر لكل الأشياء التي حولها وإحساسها بها، إحساسها بالناس، بالكائنات الحية وغير الحية، بالعلاقات، علاقاتها مع الماء، مع الهواء، مع الطريق، مع الجدران، مع الخوف، الغزاة، الأرض، المصير. لغة مكثفة ودقيقة دون حشو أو سرد فائض. تستفيد ألكاتبه من الواقع الذي تراه ماثلاً أمامها ومع الكوايس التي تتشكل عبر هذا الواقع، رواية تجري كالنهر، رحلة من الداخل إلى الخارج⁴

وكثيرا ما تقع عينك على احتمالات في الصورة التي أبدع الفنان في تشكيلها لرواية "لمياء الألوسي" إنها صورة لامرأة تذرف الدموع بكثرة على وجه شاحب متشقق في الوقت الذي كانت فيه يد تقف على استقبال هذه الدموع ، في الوقت الذي يعجز فيه القارئ انتقاد التأويلات المناسبة للنظر عن محتوى الرواية ، انه وقوف متعطش لاكتشاف إحياءاتها ، فصورة الرواية وحدها قادرة على اكتشاف الإحياءات لتقف تمنعنا لغرابة النص ، هذا الأخير هو المكمل للمعنى أو دال عليه .

أولا "أنواع الألم في الرواية :

1-الألم الحقيقي: هو الذي عاناه الكاتب في هذه الرواية والألم في الرواية العربية بصفة عامة وفي الرواية العراقية بصفة خاصة هو إطلاق عنان " نقد النقد" أو بعبارة أخرى هو الإشارة إلى الدراسة الاجتماعية والنفسية في الوقت ذاته على قدر تميز الفكرة وبلاغة المفردات التي عمد لها الكاتب في سرد روايته، وجزالة اللغة المبالغ فيها مع مضمون السرد، العديد من الأعمال الأدبية التي تناولت وصف حال العراق المروع سواء على زمن العهد البائد أو الواقع الحالي وما اختبره من قتل وتدمير وحصار أدى لتداعي الحياة بكل مقوماتها، تقف بهذا العمل أمام محاولة أيضا للوقوف على حال البلد المريض والتداعي وعلى قدر أهمية الفكرة ومضمونها المؤلم بكل تفاصيل الواقع المريع⁵

رواية صيادو الريح هي باكورة الأعمال الروائية "للمياء الألوسي" فهي خطوة موفقة إلى عالم الكتابة الروائية ، فهي تقدم لنا حياة مئة امرأة تشردت بين "أربيل" وقرى أخرى كما نجدها تسرد أيضا تفاصيل ما جرى لضحايا أقاموا في بيوت تضم غرفا تعرضت للدمار الماحق وقتل الآلاف منهم فهو ألم قد تكون مرتبطة بإصابة جسدية يعبر عنها بأسلوب معين ، مثل الإحساس بالضيق ، والبؤس ، الحزن ، عدم الاتياع والتعاسة ، ثم أن الألم هو شعور فردي يختلف كثيرا من شخص إلى آخر إذ تتداخل فيه عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية .⁶

فعنوان الرواية " صيادو الريح" هو مؤشر لمعاناة المرأة العراقية ، فهي تقبلت حنظله الألم مما كان ذوقه ومرارته "فلمياء الألوسي" كوطنية عراقية لم تعش حالة من الاطمئنان والحرية من جراء الظلم الداعشي ، " فلمياء الألوسي" امرأة تعيش أحلام مستقبلية واعدة .

والمرأة لها دور كبير في المجتمع ، فهي تساهم في عملية التقدم والتحرر، وفي هذا المقام تحضرنا تعريف "بول ريكو" الذي يعتبر "الألم ينطبق على الأحاسيس التي يتم عيشها"⁷

فالألم عند الروائية يتخذ لنفسه وجوها متعددة بدنية ونفسية ، ويتشكل الألم أمام المتلقي تحت أشكال مختلفة وهو نفس المعنى الموجود في النصوص الدينية "مصادقا لقوله تعالى " وَلَا تَهْتُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَيْتَهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَزْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَزْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"⁸

2-ألم فلسفي: فهو مجموعة من الأحاسيس التي تنعكس سلبا على الفرد في مختلف المجالات النفسية والاجتماعية وغالبا ما ترتبط بمتاعب الجسد وعذابه . "ولمياء الألوسي" تعد البطلة في هذه الرواية ، حيث حاولت الغوص في المجتمع العراقي منه واكتفت بتوظيف جغرافية الأحداث "تكريت" مسلطة الضوء على تلك الحقبة " الوجود الداعشي" وهي إشادة بشجاعة المرأة العراقية التي تحملت ما تحملته من مآسي ، انه ألم المرأة المستضعفة أيضا ، فالأديب يرى ما لا يراه غيره من الناس وهذا ما يجعل القارئ يقف أمام الكثير من الوقائع الخفية وراء السطور وهذا ما نجده متجليا في رواية " صيادو الريح" ، والتي أرادت من خلالها الساردة تصوير معاناة المرأة العراقية محاولة بذلك تجسيد هذه الآلام والمآسي

بنظرة صارخة ، لا شيء سوى أن المرأة هي المصدر الأوحـد والوحيد للإحساس وخاصة الإحساس بالألم لذلك سنحاول استقصاء آلام الرواية وهي آلام الأمة العربية النابعة من ضمير حي أبي أن يرى ويسكت فتجسدت كل أنواع الألم لتنتقله لغيرها حتى ندرك ما تعانیه مجتمعاتنا ومن ثم نصرخ بصوت واحد ، ليكون مسموعاً لغيرنا مرئياً لكل كيان يريد الانتصار على الهزيمة ، فالأديب يكتب لأنه يرى "ولمياء الألوسي" تريد التغيير وهذا لتجسيد العدالة في الحب والكره ، في الراحة والألم، في السعادة والحزن فالأديب يرسم الرسم رغم أنه الشتاء ويتوقع الغيث رغم أنه الصيف كما أنه يتوقع الانتصار رغم كواليس الهزيمة ، الهزيمة التي تعني التبعية وقد تختلف وجهة نظر الأدباء لكن هدفهم واحد هو جعل الحياة لما كان يتصورها أفلاطون في المدينة الفاضلة⁹

ثانياً: سيميائية العنوان

العنوان عادة يكون مفتاح الخطاب ، والذي يبدأ به المتلقي عمليتي التفسير والتأويل "فروبرت سوليز" يؤكد على أن كل خطاب نثري علمياً كان أو أدبياً يتوفر دائماً على عنوان¹⁰ إنها رواية لـ "صيادو الريح" ففي الوهلة الأولى يبدو غير واضح وفصيح صعب الدلالة ، لكن سرعان ما يمزج هذا العسر بعد قراءة الرواية عدة مرات .

لهذا يعتبر العنوان مراسلة لغوية تتصل في لحظة ميلادها بجبل سردي يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد ، نظراً لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة¹¹ فعنوان "صيادو الريح" فضاء سيميائي يفتح الرواية على مكونات دلالية كثيفة - فعلاقة العنوان بالنص تقوم على علاقة وطيدة بينه وبين المتن الروائي فهو يجسد المعنى ، ويمثل في تصوير هذه المعاناة بحسب المراحل العمرية ، انه الجحيم في حد ذاته .

وبهذا تكون الساردة "لمياء الألوسي" قد حققت هدفها في معالجة قضايا الشتات العراقي من جراء الحروب المتتالية ، انه تصوير واقعي لصورة المرأة الضحية المضطهدة فالروائية لها طبيعتها الخاصة في تركيزها على المرأة المسنة وهي عممتها "سعدية" إن اختيارها لهذه الشريحة من النساء ، وهذا لما تحمله من تاريخ وذاكرات ، وفي نفس الوقت تكتسب تعاطف القارئ تقول الساردة "تشبثت المرأة بقدمي المسنة وهي تحلف بكل الرسل والأنبياء ، إن ابنها لم يقتل الشابين ، تقدمت امرأة بدينة قرمزية الوجه ، ورفعتها من تحت إبطها ، لكنها تشبثت بذراعي المرأة المسنة إلا أن هذه الأخرى دفعتها عنها برفق ، تحركت وقد زاد نشيجها لاتجاه الباب الخشبي الكبير الذي أفق بجواره"¹²

استطاعت "لمياء الألوسي" قد حققت هدفها في معالجة قضايا الشتات العراقي ، وربطها بالمرأة ومن هنا نستطيع القول أن الرواية كانت موفقة إلى حد بعيد في اختيار عنوان الرواية "صيادو الريح" والذي يفتح على عدة تأويلات ، هذه الأخيرة تجذب القارئ إلى المتن الروائي الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من العنوان ولما لا أيضاً النص ، وفي الوقت نفسه تبدو لنا عناوين فرعية "تحرك الجسد" "تلك اللحظة" ، "غروب الشمس" ، "شذرات لا معنى لها" "الأصوات الزاحفة" ، "أحاسيس غريبة".

ثالثاً: بواعث الألم

على الرغم من بساطة الفكرة فالرواية عميقة في طرحها فالذي يقرأ الرواية للمرة الأولى تحس وكأنك تقرأ لـ "خليل مطران" في روايته الأرواح المقتردة ، حيث أنها كانت في كل مرة تحس وكأنها تختار عنوانا آخر تريد إيصاله للمتلقي "القارئ" فرمزية " صيادو الريح" هو عنوان للموت انه اصطلياد الحرية والسلام .

كما صورت الساردة مرارة الإحساس بالإخفاق وعدم القدرة على تحقيق المراد إنها تقول "وعندما تجاوزت المكان لم تتجاوزني نظراتهم ، ووجودهم المنسحق تحت سياط جرم الملوئين ، كنت أدرك تماما إنهم سيسكنون خلايا دماغي للقدام من الأيام وربما لسنين ، أو سيخطون ضياعي أنا الأخرى فرائحة الدم أضحت بديلا عن رائحة النهر ورائحة المدينة"¹³

ومن جهة أخرى نجد الأدبية "لمياء الألوسي" تعود بذكرياتها التي ترصعتها بأحاسيس المرارة تقول " بعد سقوط الموصل تهاكت المدن الغارقة في الصمت المحير محاولة استجماع شتاتها ، كامرأة توجه موجة فيضان يحاول اقتلاع بيتها ، الفيضان الذي وصل الى قديمي المدينة وابتلع قدرتها على البقاء ، ما عاد يجديها نفعا سوى الرحيل ، الآن تمكن داعش من السيطرة على مصفي بيجي وعمت المدينة عاصفة من الإطلاقات النارية كل ذلك والملمثون يعدون الناس بقدوم الوقود ولا يأتي ، سرت همسات تتناقلها الألسن سرا شائعات يبثها البعض ويتناقلها النائمون في سياراتهم أو إلى جانبها ، وعلى قارة الطريق....إن الوقود بكل أنواعه هرب إلى خرج العراق"¹⁴

لمياء الألوسي تبوح بآلمها حين تعود بذكرياتها ولعل ما يسبب هذا الألم هو الهجرة فكيف ظهرت في روايتها ؟

1-مرارة الهجرة من الوطن

ألم الهجرة عادة هو ترك الأحبة من موطن الصبا وأيام الأنس هذا الوجد الذي رسمته "لمياء الألوسي" في نصها السردي "صيادو الريح"فجدها تقول"وبعد سقوط ثلاثة أيام من سقوط المدينة لا أدري ماذا أنتعت الذي حدث هل هو سقوط ، أم احتلال ، أم محاصرة من قبل القوات مجهولة ، لم أعد أعلم...منذ الآن علينا التفكير بالرحيل لقد اتصلت بمحسن عبد الحميد ، صديقي في ناحية العلم ، يقول انه رحل إلى أربيل ، وترك الصيدلية التي كان يديرها يمكننا أنا وإياد إدارة الصيدلية ، وسوف نسكن في منزله"¹⁵وتقول أيضا في هذا الصدد "سمعت أحدهم يقول معتذرا وهو يرى اندفاعنا ، الذي أربكهم للإحاطة بعماد:

سنرحل من هنا حالا ظننا أن البيوت هنا خالية ، والمتجر مغلقة"¹⁶

تواصل "لمياء الألوسي" سرد أوجاع العمة وهي تتحرك بسرعة هائلة على غير عادتها خائفة ، هذا الخوف الذي أفقدها طعم الحياة انه انكسار في الروح والجسد، لذا قررت وهي تخرج من غرفتها بحقيبة صغيرة : "يجب أن نرحل الآن ، كل شيء في هذه الحقيبة ، ولا شيء آخر.وراءها كان العم فوزي ببذلته الأنيقة ، لم يقل أي شيء لكنه كان يريد الرحيل بأقصى سرعة"¹⁷

انه ألم لم يريح من جسد الساردة منذ زمن بعيد ، وحقأة تجد الساردة نفسها وحيدة في بيت محجور مع جدتها العجوز ، إنها كانت تمكث في غرفة ذات الجدران الطينية تتحدث مع نفسها لتتخلص من أوجاعها بل تسبح بخيالها علما من يعيدها إلى الأيام الماضية .

وبعدها تعود الساردة "لمياء الألوسي" إلى سرد فاجعة الموصل من قصف للطائرات وانفجارات وانهبان للمباني تقول "أزيز الطائرات الذي كان قريباً جداً وكأنها فوق رؤوسنا أخرست الأصوات ، وعم السكون ، ثم بعد أقل من دقيقة ، التهبب السماء.....باتجاه الدخان المتصاعد"¹⁸

إنها لحظات لا تُمحى ولا تُنسى من ذاكرة الساردة لتختتمها بكلمة واحدة "أنا مثقلة بهزني الألم"¹⁹ إلا أن الكاتبة وبفضل حنكها استطاعت أن تُخفف من آلام القارئ ومن ثم تساعد على مواصلة القراءة ، ومن هنا نستطيع تقييم الساردة على امتلاكها القدرات الكبيرة في تصوير الحقائق وتقلل للقارئ لقيم دمج مباشرة في الأحداث بكل الأشكال تقول "ونجأة توقفت ما الذي جعلني أركض كل هذه المسافة ، حاسرة الرأس مشعثة في تلك اللحظة فقط أردت أن أراجع أعود إلى غرفتي"²⁰

2- ألم التشرد

التشرد هو من بين الآلام التي تغلب الموازين الإنسانية انه مشهد هذه الصورة التي لا طالما تظهر في أبشع وأقصى الطرق .

هذه الصورة هي مونولوج داخلي للساردة عن مأساة أهلها جزء القصص فلم يعد لهم مكان يلجؤون إليه تقول: "طرحت جسدي الغارق بالماء ، والتعب ، والنعاس على الأرض الفارقة بالماء ، لكنني لكم أتمكن من النوم ، فالأصوات والأجساد التي راودتني ليلاً ، عادت تلاحقني تطفو الكائنات فوق رأسي ، فيطفو جسدي ، يتأرجح ، يصبح أكبر حجماً ، وكأني معلقة ببالون تحز حباله إبطي ، يقيدني بحلق بي بلا تحفظ فوق أعلى الأماكن ، ثم أسمع فوق أعلى ارتطام قوي لأشياء لا أعرف حجمها ، ثم تسطع أضواء قاسية تذهب قدرتي على الرؤية ، افتح عيني ، ويعود بي جسدي على الأرض"²¹ تجرعت المرأة العراقية كل يوم من أيامها ، كؤوساً من المرارة والألم ، بدءاً من سقوط النظام السابق واحتلال البلاد من قبل الأمريكان ، وصولاً إلى دخول التنظيمات الإرهابية وما صاحبها من صراع بين أطراف النزاع على الأراضي العراقية ، مما خلف عشرات الآلاف من النساء من دون معيل وجعلتها عرضة للفقر والعوز في ظل ظروف اقتصادية صعبة ، نتيجة توقف دورة الحياة الطبيعية وعدم وجود جهات عمل وإنتاج في مجالات الحياة كافة.

وإعلاء لقيمة الإتيان الذي جاءت به الروائية نلمح ذلك الفرع وتلك الاضطرابات التي كانت دروساً للإنسانية لما لا تكون محاضرات تبرمج في الجامعات أو بعبارة أخرى شعار ينادي بالحرية ، لأنه وبكل وضوح الذي عاشته الساردة لم يعيشه أي شخص آخر إنها معاناة وآلام وهي كعينة من عينات النساء العراقيات فنجدتها تقول "بعد أقل من دقيقة وجدتني في مكان بلا عنوان ، ووجوه بلا سمات ، أرواح هائمة رجل يضم أولاده بين يديه ، ويتلفت بشكل هستيري ، بعد أن أخرجهم من تحت الأنقاض ، إباد يركض إلى داخل الدمار أخرجوا امرأة على بطانية حمراء ، مازلت غير واثقة هل البطانية الحمراء أم هو دم المرأة المسفوح ، الدم مختلط بالتواب ما زلت النار مشتعلة في إحدى المنازل"²² وهكذا تكون الرواية حققت ميزة سردية من خلال وضوح الزمن السردية ، هذا الأخير الذي يعتبر علامة من علامات التشويق ، "فلمياء الألوسي" تقوم بسرد التأثيرات الاجتماعية وفي نفس الوقت هذه الدلالات التي كانت تظهر في الرواية وهي ترسم آلام وخلجات النفوس الثائرة إنها تقول "كانت تلك لحظات لا تذكر في عمر الزمن ، فسرعان ما كانت تنتهي ، بمجرد أن أفكر قليلاً في أي ضمن وضع لن يستمر طويلاً ، أو سينتهي في أية لحظة ، قرار تغلقه عشرات التخمينات التي تبدأ ، ولا تنتهي علينا أن نتحرك في هذا الشتات داخل الوطن وخارجه"²³

إنها ألام خرجت من رحم الأزمة العراقية التي تحمل دلالات متعددة فدخل العراق في دوامة العنف بأشكاله أسرى على ولادة مُجمع سردي يحمل في طياته تعابير عن ألام المواطن العراقي بصفة عامة والمرأة العراقية بصفة خاصة . انه تجسيد "لمياء الألوسي" في عملها صيادو الريح هموم المرأة العراقية ، استطاعت رسم ملامح المرأة العراقية ، أليس في هذه المقام يمكن أن نطلق عليها بالإرث الأدبي المنفرد كما كان يعبر عليه الطاهر وطار في رواياته . فالمفهوم محمًا تقادم ، إلا أن إمكانية التعايش مع الكتابة السردية عند "لمياء الألوسي" هو ما يمكن أن تأخذنا إلى خلاصة طريقة التفكير للكون والتفكير للحياة ولما لا أيضا المقولات الميتافيزيقية التي تكون مجتمعة في وصف الإنسانية. فالطاقة التعبيرية الرمزي والثقافية التي حملتها "لمياء الألوسي" استطاعت من خلالها أن تحمل القارئ إلى أجواء فنية سردية صيغت بوعي ثقافي سوسيولوجي ديناميكي ، داخل متن رسم في فضاء الابداع العراقي الأنثوي. الساردة كانت ضائعة بين أحزانها وبين رسم مستقبلها المجهول ، وهي تتخبط في ظل الظروف القاسية التي حاولت أن تضمد جراحها ومن ثم تُعيد التفاؤل إليها تقول "خُدت يا صاحبي خُدت عندما أيقنت بعد فوات الأوان أن المستقبل يأتي متخفيا وراء قلنسوة مخرج ، قد تدفعك إلى اختراق حدودك الملغمة بالقهر ، والصمت المفعم بالثورة التي تحرص كل آمالك ، وأفكارك، تدرك إنها كانت تضعك أمام مستقبل مجهول، أو تحجرك في موضعك ، فلا تترك إلا إلى ماضٍ يحترق فيك، ولا يتلاشى"²⁴

3- ألام الحسرة والشوق

الشخص الذي يعتصر قلبه ألاما يتعب عند كل طاقة على التحمل ولما لا أيضا أماكن تزيد في النفوس ألاما وحسرة ، ومهما حاول الشخص نسيان ذلك المكان إلا أن الحنين يمنعه ، لأن المعنى الحقيقي للحب رُسم بالداخل وهو الموقف نفسه الذي رسمته الساردة مع صديقتها "أم جوانا" التي التقت معها في تكريت تقول: "كانت لنا مزارع واسعة في قرية من القرى نتجول في فضاء الطوز ، يديرها أخي وعائلته كنت أزورهم بين الحين والآخر لأني أعيش في كركوك ، في ذلك اليوم خرجت إلى المزرعة القريبة ، حقول واسعة من القمح والشعير والذرة عندما عدنا من المزرعة التي تبعد كثيرا عن القرية ، أفلقتي بأن القرية كانت خاوية ، لا يوجد فيها بشر لم يبق أحدهم هنا أخبرتهم أن الخطر قادم ، لكنهم لم يصدقوا ، قلت لهم لا تذهبوا مع مسؤولي البلدية ، لكنهم ذهبوا جميعا ، هكذا كانت تولول ، سيارات الجيش أخذتهم جميعا."²⁵

كل هذا هو نزيف للوقائع الحقيقية التي باتت تكشف عن الخلل في منظومة الهم والطموحات والآمال لذا نرى "لمياء الألوسي" تصف لنا أغلب شخصيات هذا العمل السردية إنها شخصيات مهزومة وضعيفة فسألت على ما تُعانيه النساء العراقيات من ألام وحسرة كل هذا نتيجة لمعطيات اجتماعية وإيديولوجية أو سياسية .

إنها تقول : "تطالعي وجوه النسوة اللواتي يجلسن أمام منازلهم ، يجلسن على الأرصفة النظيفة ، وروائح الأكل توجج أشواقي ، وتدفعني بقوة إلى بيتي هناك ، ومطبخي، فأشعر بالحنين يليني بعيدا عن هذه المدينة"²⁶ تلك إذن مسار الكتابة النسوية الذي يُظهر على وجه آخر ، وملامح أكثر خصوصية حددها النقد النسوي فالكتابة النسوية وهما آخر ، وملامح أكثر خصوصية ، الذي جاء ليؤكد خصوصية الأدب الذي تبذعه المرأة بوصفه تمثيلاً لعالمها ، تلك الخصوصية التي استمدت شرعيتها من النوع الإنساني للمرأة، ومن التمييز الثقافي لها. وقد انصب تركيز هذا

النقد على الأدب الذي تكتبه المرأة من دون الرجل مؤكداً وجود إبداع نسائي وآخر ذكوري ، لكل هويته وملاحظه الخاصة²⁷

تواصل الساردة إظهار صورة المرأة العراقية من خلال البناء السردى ، فالمرأة مثلاً تملك نقاط القوة فإنها أيضاً تملك نقاط الضعف ، فهذا العمل تتكاثف الصورة السردية من خلال الوصف للأحداث ، فشخصية العمة " سعدية" التي كانت صورة رمزية للقوة في زمن عرشها ، فلماذا ضعفت قوات الحشد الداعشي بنفيه هاته المرأة ، لذلك حاولت الرواية جعل شخصية العمة شخصية محورية بامتياز ، هذا من جهة ومن جهة أخرى جعلتها تتعايش مع أغلب الحركات الزمكانية ، هذا في الوقت الذي كانت تشحن فيه الروائية نصها السردى ببناء أخريات حتى يكتمل بناء العناصر السردية ، فنجدها تقول: "في خضم ذلك كله ، وصلني صوت عمي ذات يوم ، كان صوتها مفعماً بالأسى ، وشعرت أنها خائفة من خطر ما قالت:

"وصلتنا أخبار الجيش ، والحشد الشعبي ، لقد وصلوا إلى قضاء الدور وما هي إلا أيام ، وربما ساعات ، ويصلون إلى مناطق شرق الجسر.

وماذا سيفعلون ؟ أنا أخشى عليكم من البقاء هناك

-وماذا فعل ؟ وأنا أكلمك تلك القرى يمضون سيرا على الأقدام سينقلنا صديق عماد إلى الحويجة بعد قليل ، سنترك كل شيء ونرحل من جديد"²⁸

فرسم الأدبية للوحات الألم ووجع المرأة العراقية وأمثالها وكأنا على مسرح عزاء ، فهي تجسد مشاهد الأسى والألم من خلال استحضار مشاهديها وهي في طريق العودة إلى بغداد تقول: "الوقت يمر كالرصاصة لا شيء يبنى بالخير ، تناقلت الفضائيات صوراً عن الأماكن المهدامة ، والشوارع المخربة ، الكل يدرك أن العودة لن تكون في وقت قريب ، لم يعد لنا مدينة نعود إليها على أن أنسى فكرة العودة ، المكان هنا سيكون هو الوطن مهما كانت أبعاده ، وكل منا يحمل مفتاح منزله في جيب منسي لن نفتش عنه في الأيام والأشهر القادمة . رغم ذلك توقف إحساسي بالزمن أقضي النهار أمام التلفاز أبحث عن خبر جديد ، أي خبر يقول أن الحكاية ستنجلي قريباً لكن دون جدوى"²⁹

نتيجة لذلك كان وعي " لمياء الألووسي" بالكتابة السردية في القمة من خلال توظيفها للروايات الفكرية والمعرفية التي عادة ما تستعمل في العملية الإبداعية .

الخاتمة

رواية صيادو الريح أضفت لمسات أنثوية في السرود الروائية التي تحمل تشكيلة خطافية ، وهذا لاهتمامها بالحضور المجتمعي والثقافي ، وبعبارة أخرى التوظيف اللغوي المغاير للآخر-الذكر-.

تبقى إذن الشخصية العراقية رمزا للصبر بقلب عاش ويعيش كل ماضي أليم ، إنها لا تعرف المستحيل ولا اليأس ، كيف لا وهذا الألم الذي عصارة أحداث سياسية مستمدة من الواقع المعاش (العراق) كل هذا يوحي بتعدد أشكال الألم داخل المتن الروائي الذي يساعد القارئ على نكهة ومواصلة دراسة الرواية ، انطلاقاً من مقولات الأدب النسوي ، وتأثيرات الخطاب ما بعد الكولونيالي الذي يركز على دراسة التوابع ، فعمدت إلى النسق الثقافي عبر ما يسمى بالنسق المؤنث ، وهي لم تسرد قضايا ذاتية وإنما قضايا الإنسانية العامة .

أليس هذا صورة لانخراط المرأة العراقية في البيئة المجتمعية الاقتصادية والسياسية عبر جسر الأدب وقضاياها التي جمعت الساردة جميع جوانب صورة المرأة العراقية عبر الإيجاز في الإيحاءات والدلالات التي تقوم عليها صورتها السردية .
- قائمة الإحالات

- 1 باقر جواد محمد رضا الزجالي :بواكير التفاعل الفني بين الشكل والمضمون في الرواية العراقية ،جامعة أهل البيت العدد 07، 2009 ص.134
 - 2 باقر جواد محمد رضا الزجالي :بواكير التفاعل الفني بين الشكل والمضمون في الرواية العراقية ،جامعة أهل البيت العدد 07، 2009 ص.134
 - 2 علوان: الرؤية المأساوية في الرواية العراقية المعاصرة ، مجلة فصول العدد 4 الهيئة العامة المصرية القاهرة ، 1997 ص.52.
 - 4 عبد السادة جبار:صحيفة المراقب العراقية2017-10-29. <https://www.almuraqeb-aliraqi.org> تم الاطلاع عليه يوم 2020-02-12
 - 5 يحدث في بغداد..رواية"- رسول محمد رسول "عن آلام العراق زمن الاحتلال الأمريكي2019-07-29
 - 6 حنان ابتسام:فاعمية الذات المدركة وعلاقتها بالألم المزمن، دراسة مقارنة لعينة من المرضى وغير المرضى بمدينة ورقلة، رسالة ماجستير في النفس العيادي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر ، 2014ص.32
 - 7 دافيد لوبروطون: تجربة الألم ، تجربة فرويد الزاهي ،دار توبقال 2019،ص18
 - 8 سورة النساء الآية: 104
 - 9 دافيد لوبروطون: تجربة الألم ، تجربة فرويد الزاهي ،ص52-57
 - 10 روبرت شوليز :سيميائية النص الشعري ، اللغة والخطاب الأدبي،تر، سعيد غانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط1، 2008ص161.
 - 11 المرجع نفسه: ص163.
 - 12 لمياء الألوسي : صيادو الريح ... ص29.
 - 13 الرواية ص47.
 - 14 الرواية ص50.
 - 15 الرواية ص54-55
 - 16 الرواية ص56.
 - 17 الرواية ص57
 - 18 الرواية ص110
 - 19 الرواية ص110
 - 20 الرواية: ص110
 - 21 الرواية: ص230
 - 22 الرواية:ص111
 - 23 الرواية:ص137
 - 24 الرواية :ص217
 - 25 الرواية : ص273
 - 26 الرواية : ص277
 - 27 تأملات منفي ضمن :عبد الله حبيب كاظم: دار الدليل للطباعة والنشر ،برلين ،سنة النشر: تشرين الثاني/نوفمبر 2013 ص13-14
 - 28 الرواية :ص277
 - 29 الرواية :ص278-279
- المصادر والمراجع :
القرآن الكريم :

- 1- باقر جواد محمد رضا الزجاجي: بؤاكير التفاعل الفني بين الشكل والمضمون في الرواية العراقية، جامعة أهل البيت العدد 07، 2009.
- 2- روبرت شوليز: سيميائية النص الشعري، اللغة والخطاب الأدبي، تر، سعيد غانني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 2008.
- 3- دافيد لوبروطون: تجربة الألم، تجربة فرويد الزاهي، دار توبقال 2019.
- 4- علوان: الرؤية المساوية في الرواية العراقية المعاصرة، مجلة فصول العدد 4 الهيئة العامة المصرية القاهرة، 1997.
- 5- عبد الله حبيب كاظم: تأملات منفي، دار الدليل للطباعة والنشر، برلين، سنة النشر: تشرين الثاني/نوفمبر 2013.
- 6- لمياء الألووسي: صيادو الريح، دار المعارف للطباعة والنشر 20187-1420

المذكرات والأطاريح:

- 1- حدان ابتسام: فاعمية الذات المدركة وعلاقتها بالألم المزمّن، دراسة مقارنة لعينة من المرضى وغير المرضى بمدينة ورقلة، رسالة ماجستير في النفس العيادي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2014.

المواقع الإلكترونية

- 7- <https://www.almuraqeb-aliraqi.org>
- 8- <https://www.youm7.com/story>